مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 351-369

تجارة مواد الترف في المغرب الأوسط القرن(2-4هـ/8-10م) .

(luxury trade in the Middle Maghreb (2-4AH/8-10CE)

سجية بوساق، جامعة قسنطينة 2، (الجزائر)،bsadjya@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 21-08-2021 تاريخ قبول المقال: 03-01-2022

الملخص:

تجارة الترف بالمغرب الأوسط، مصطلح يعكس دلالات اقتصادية، ويرصد مستوى اجتماعي ، في رقعة جغرافية وخلال مرحلة زمنية مهمة في تاريخ المغرب الأوسط.

ومن خلال هذه الدراسة التي تهدف إلى رصد ظاهرة يراها البعض طبيعية ترافق تطور المتجمع وازدهاره، وبين اعتبارها وضعا صحيا، يعبر عن ارتفاع مستويات الظاهرة الاقتصادية وانفتاحها أو حالة مرضية تصيب الدولة وتعتبر مؤشر تراجع وانهيار.

ولأجل ذلك حاولت الدراسة التطرق للعوامل التي من شأنها أن تساهم في ظهور أو شيوع الترف ومن ثمة التجارة المتعلقة بموارده بدرجة أولى، و من ثمة أهم المواد التجارية الواردة من مختلف الجهات التي كان للمغرب الأوسط علاقات معها.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط، التجارة، الترف، الدولة..

Abstract: luxury trade in the Middle Maghreb, term reflects economic connotations.

A certain social is monitored, it concerns an important, geographical and time stage in the history of the Middle Maghreb in the Middle ages.

This study aimes to monitor a phenomenon that accompanied the development of society, and the prosperity of the state.

The study tried to address the factors that contribute to the spread of luxury within the middle Maghreb society.

Key words : Middle Maghreb, trade , luxury, state

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 01 ص.ص: 351-369

تجارة مواد الترف في المغرب الأوسط القرن(2-4هـ/8-10م) .

مقدمة:

ارتكزت الدراسات المهتمة بالتاريخ الاقتصادي للمغرب الأوسط على رصد مختلف مظاهر الأنشطة الاقتصادية، من فلاحة وحرف وتجارة، والتفتت أخرى إلى العناية بمظاهر التبادل التجاري التي شملت مختلف السلع والبضائع.

ولكن المتتبع للحركية التجارية في المغرب الأوسط يلحظ أن الاهتمام بها تميز بنوع من التعميم والتعتيم. فهناك نوع من التجارة أغفلته الدراسات، أو سُرد عرضا على الرغم من أهميته، فقد أغفلت تجارة الترف أو مواد الترف، على الرغم من اعتبارها مؤشرا اقتصاديا وحضاريا واجتماعيا.

حاولت الدراسة ومن خلال النصوص المطلع عليها والتي تؤرخ لفترة مهمة في المغرب الأوسط وهي قيام دولة بني رستم ما بعدها، رصد نمو حركة الطلب على بعض الموارد الكمالية في ظل تطور الدولة استنادا إلى عوامل ومؤثرات بعض تلقائي فرضته طبيعة البناء والنمو، والبعض الآخر كان للجانب البشري دور مميز فيه.

إن الموارد في شكلها المادي قد حملت عملها مؤثرات وأفكار معيشية وعادات سرعان ما اعتنقها سكان المغرب الأوسط، نتيجة احتكاكهم ببعض الوافدين إلى المنطقة والمستقرين بها.

فما هي العوامل المساهمة في توجه ساكنة المغرب إلى هذا الموارد الاستهلاكية؟ وفيم تتجلى هذه الموارد؟

المبحث الأول: عوامل شيوع ظاهرة الترف

قبل الحديث عن تجارة مواد الترف كانعكاس لظاهرة مهمة عرفتها دول المغرب الإسلامي والأوسط بصفة خاصة، وهي ظاهرة لصيقة بالدورة الحضارية للدول بصفة عامة، ولا يمكن المرور عليها دون التعريج على نصوص عبد الرحمن ابن خلدون الذي أسهب في الحديث عن الظاهرة وأسبابها ومسبباتها وانعكاستها على مستوى الفرد والدولة.

اختلفت النظرة للترف فتبدو نظرة ابن خلدون إليه أنه ناحية كمالية في حياة الإنسان. وليست أساسية. بمعنى أن الترف يتجاوز الضروريات، فليس من الترف البحث عن الحاجات الملحة كالمأكل والمشرب، والملبس والمأوى. بل هو تطلع إلى الجانب الكمالي الذي يمكن للإنسان الاستغناء عنه.

وورد الترف في المقدمة الخلدونية سمة من سمات الملك " فالدولة إذا تغلبت وملكت ما بأيدي أهل الملك قبلها، كثر رياشها ونعمتها، فتكثر عوائدهم ويتجاوزن ضرورات العيش وخشونته، إلى نوافله ورقته

وزينته،... وينزعون مع ذلك إلى رقة الأحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية، ... ويفاخرون فيها غيرهم من الأمم.."[1].

وبحصول الملك ينزع الناس إلى الدعة وينفرون من المتاعب ويقبلون على الراحة، "فيبنون القصور، ويجرون المياه، ويغرسون الرياض، ويستمتعون بأحوال الدنيا"[2].

ويعد الترف مطلبا إنسانيا جبلت عليه سجية الإنسان، ونازعته في السعي إلى البحث عن مسكن فاخر، أثاث وفير، وطعام مستجاد[3]. كلها عوامل كان لها انعكاسات على الحركية لتجارية التي حفزت عملية التبادل وجعلتها ترتقي إلى إيراد منتجات أضحى الطلب عليها ضرورة اجتماعية.

المطلب الأول: ثراء الطبيعة وخصوبتها

لا شك أن المغرب الأوسط بما يحويه من اتساع جغرافي ذا تنوع مناخي، وتباين تضاريسي أدى إلى ووفرة إنتاجية، وقد اعتنت النصوص الجغرافية الوصفية بتصوير ما كانت عليه مدن الغرب الأوسط من خصوبة وثراء في الإنتاج. فبدا المغرب الأوسط بلد خصيب كثير الفواكه والنعم، طيب البقاع، غزير المياه. وهو بلد "زرع وعمارة". [4].حسب اليعقوبي (ت284هـ/897م. وقد وصفه ابن حوقل :" وأما ما حاذى أرض إفريقية إلى آخر أعمال طنجة، .. فبلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتيق والمزارع والبساتين والضياع والمياه.."[5]. وقد أثار إعجاب واهتمام اليعقوبي وادي شلف الذي كان عليه :" عليه قرى ويفيض كما يفيض نيل مصر.."[6]. حيث ساهمت الأودية والأنهار في خصوبة التربة. وأوجدت الكثير من السهول الخصبة الصالحة للزراعة، كسهل شلف الذي ساعد على استقرار السكان وكان من إنتاجه موارد زراعية كالكتان ،ساهمت في تنشيط الممارسة الحرفية والنشاط التجاري.

وكان فحص مدينة عجيسة الواقع قرب مدينة الغدير[7] :"مدير كثير الزرع والضرع إلا أنه شديد البرد والثلج"[8].

كما عرفت عدة بخصوبة تربتها إذ يمكن اعتبر مدينة ميلة[9] من بين المدن التي اشتهرت بأنها :" .. كثيرة الخصب .. ولها جبل هو أخصب جبل بإفريقية.."[10]. فاستوطنت لخصوبة أراضيها وكان بها سوقا نافقة.

أما مدينة جزائر بني مزغنة، فكانت تتصل بفحص متيجة الذي كان كثير الخصب[11]. وفي غرب جزائر بني مزغنة هناك مليانة التي كانت ذات مسارح خصبة ساعدت على قيام مختلف المزروعات[12].

كما انتشرت الماشية ومورس الرعي، فقد كان أهل بونة " أكثر سوائمهم البقر، ولهم إقليم واسع وبادية وحوزة.."[13].. وهو وصف يمكن سحبه على جميع بوادي ومدن المغرب الأوسط. وتاهرت هي معدن الدواب، ومتيجة عرف عنها بأن أهلها :" أصحاب عمارة وزرع وضرع"[14].

والمسيلة لها واد يقال له واد سهر فيه ماء عظيم ....، ولهم عليه كروم وأجنة كثيرة، تزيد على كفايتهم وحاجتهم؛ ولهم من السفرجل المعنق ما يحمل منه إلى القيروان .. ومن غلاتهم القطن والحنطة والشعير، وتكثر عندهم المواشي من الدواب والأنعام والبقر .."[15] .

الجدير بالذكر أن بلاد المغرب الأوسط غنية بمادة المرجان، و استمر المرجان كمادة تجارية تشتهر به مدينة مرسى الخرز التي :" يوجد بها كثير وهو أصل جميع المرجان بسائر الأقطار، ويقصد لتجار من سائر البلاد إلى هذه المدينة فيخرجون منه الكثير إلى جميع الجهات .. يباع بالأموال الطائلة وعمدة أهلها على ذلك"[16]. وانفردت هذه الأخيرة، بجودة مرجانها وحيازته تجارته. إذ لم يدانيها في ذلك إلا مدينة تنس بالمغرب الأوسط[17].

المطلب الثاني: ازدهار الأنشطة الاقتصادية

كان للأنشطة الاقتصادية (زراعة ورعي وحرف)، التي مارسها ساكنة المغرب الأوسط، عميق الأثر في الارتقاء بالمستوى المادي والمعيشي للمنطقة، مما أسهم في بروز مظاهر الترف.

وجدير بالذكر أن ازدهار هذه الأنشطة ماهو إلا نتيجة لوفرة المواد الخام الفلاحية والمعدنية منها. والتي توزعت عبر مدن المغرب الأوسط.

تربية المواشي ساهمت في خدمة الجانب الحرفي والصناعي، بما وفرته من جلود وصوف انتشرت في المغرب الأوسط الصناعة الجلدية انتشارا واسعا لارتباطها بما تنتجه المراعي. (مسارح واسعة و كثيرة، وكانت متيجة ذات مسارح، وفي ضواحي جيجل مراعي) [18]. حيث اشتهرت بعض المدن بأنها مسارح مفتوحة (كالمسيلة. تدلس، قلعة بني حماد، تاهرت، شرشال)[19].

راجت صناعة تجفيف الفواكه، كان يجفف التين بمرسى الدجاج. إضافة إلى تجفيف العنب بترنانا[20]. وكان يستخرج منه الرب أين اشتهرت جيجل بهده الصناعة[21]، وفي ذات المجال تندرج الحرف المرتبطة بتحضير الأطعمة والأشربة داخل المجال الحضري كالطباخين والشوائين والسقائين وغيرهم[22].

وفرت لها الجلود والصوف. والتي تعد مصدر الصناعة النسيجية وإنتاج الملابس وما اشتهر به البربر من ملبوسات كارتداء البرانس . فقد لاحظ المقدسي وذكر أن للبربر برانس سود، بل يوجد منها البرانس البيضاء، وهي ألبسة صوفية تستعمل شتاءا للوقاية من البرد والمطر"[23].

ولا مجال للشك بأن هذه الثياب قد انتشرت عبر سائر البلاد بفضل التجارة وانتشرت في جميع بلاد المغرب؛ ثم إن الإشادة ببعض المنسوجات يدل على انتشارها خاصة صناعة الزرابي والبسط والثياب الصوفية والقطنية والحريرية خاصة وأن المدينة تتوفر بكثرة على المواد الأولية[24]. فالمنسوجات من الصناعات المهمة في حياة المجتمع المغربي وقد عرفت القلعة بصناعة أكسية صفيقة- المتينة- النسيج متقنة الحياكة لا يضاهيها في جودتها أحد من مدن العرب[25].

كما عرف مجتمع المغرب الأوسط تطعيم المنسوجات بالذهب على غرار العمائم التي كانت تصنع ببجاية[26]. فكانت تاهرت بغداد المغرب"، وبجاية بها " من الصناعات كل غريبة ولطيفة". ووهران بها صنائع"[27]. . وشهدت حالة الاستقرار الذي عرفها المغرب الأوسط سيادة الرخاء الاقتصادي. ولزاما هذا استجابت القصور لحالة الرخاء ، فذكر ابن الصغير المالكي " ما رأيت شرفة إلا عليها ، ثوب أحمر وأصفر"[28].

ومما زاد في أهمية هذا الأمر أن المترفين لا يقتنون من هذه الملابس حاجتهم فحسب، بل حلت هذه الأخيرة محل النقود، وكأنهم بذلك حولوا أموالهم إلى ملابس"[29]. واستعملت الأقمشة مكان النقود، وتدفع بها المرتبات، وتخلع على الأشخاص، على سبيل المكافأة[30].

" وتصنع بمدينة قلعة بني حماد أكسية ليس لها مثيل في الجودة والرقة إلا الوجدية يساوي كساء عيد من عمل القلعة ثلاثين دينارا"[31].

ويصف البكري برانس البربر بقوله :" حصينة لا ينفذها الماء وصنعوا الأردية ومنها المعصفرة والقلانس المصبغة والقمصان والغلات والسراويل والمناديل وغيرها،-- وينتقل بنا البكري ليبين ما كان ليه لباس الخاصة من تأنق فيقول :" وكان لملوك صنهاجة عمائم شرب مذهبة يغالون في أثمانها". البكري

وكانت تصنع ملابس رائعة في قلعة بني حماد وبجاية مصممة للطبقة العليا في المجتمع. وعمائم من الكتان الموشى بالذهب[32].

كما عرف مجتمع المغرب الأوسط انتشار الملابس الحريرية، حيث وجد بتلمسان قماشا يعرف بالتلمساني بعضه من الصوف الخالص والبعض الآخر من الصوف والحرير، وعرف استعماله بدى الأصرياء وأصحاب القصور الذين كانوا يباهون في اقتناء ملابسه باعتباره سلعة رفيعة، فضلا على أنه

يتمتع بالجمال والرونق. وتفنن الصناع في إنتاج الملابس الحريرية فكانت توشى بخيوط الذهب أو بالصمغ المجلوب من بلاد السودان.[33]

وعلى اعتبار أن هناك من مدن المغرب الأوسط من اشتهرت بإنتاج القطن كالمسيلة ومقرة ومستغانم، فإنه لا يستبعد أن يتفنن الصناع في إنتاج الملابس القطنية، ويبقى الاهتمام قائما بمعرفة صناعة أقمشة تعتبر موضة ذلك العصر من قبيل الوشي والديباج. والشربقماش[34].

لقد انتقلت المؤثرات المشرقية إلى المغرب الوسط في جل تفاصيل الحياة اليومية وعلى سبيل التمثيل انتقال الألوان التي كانت تستعمل في الصباغة, وذكر ابن الصغير ذلك متحدثا عن قصور تاهرت. وكانت الأصباغ نباتية في غالبها، فعرفت النيلة التي تستعمل لكل أنواع الزرقة وانتقلت من الهند وما بين النهرين إلى بلاد المغرب الإسلامي[35].

وكان للذهب الوارد من بلاد السودان استعمالات متعددة فبالإضافة إلى سك العملة. صنع منه حلي النساء ليمتد إلى صناعة الأواني كالأباريق والأقداح [36].

المطلب الثالث: الانفتاح على الآخر..

وإذا ما ألقينا نظرة على الواقع التاريخي فقد رصد لنا ابن الصغير المالكي الوضع الذي شهدته مدينة تاهرت الرستمية، بعد تأسيسها ".. ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الموات، وغرس البساتين، وإجراء الأنهار، واتخاذ الأرحاء والمستغلات، واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها ".

ونمو الحركة العمرانية وازدهار الحركية الاقتصادية بها لم يكن بمعزل عن عوامل منها:

كانت مدينة تاهرت ملتقى طريقين تجارين رئيسيين أديا دورا مهما في الحياة التجارية المغربية بصفة عامة[37].

انفتاح المدينة على المغرب والمشرق وسياسة مؤسسها الاستقطابية، فكانت قبلة للوافدين من التجارو المستقرين وغيرهم. وبذلك انتقلت إليها الكثير من المؤثرات الحضارية والسلع التجارية والعادات والأفكار وغير ذلك. فقد هرعت الكثير من العناصر السكانية إلى الإقامة بالمدينة :" وأتتهم الوفود من كل الأمصار وأقصى الأقطار.. فليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم، وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد، وحسن سيرة إمامه... حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي.."[38].

ومن بين تلك المؤثرات والمظاهر أن دخلتها مظاهر البذخ والترف، خاصة داخل المدينة التي حاولت التخلص من ضغط الريف وعوائد القبيلة. استفادت تاهرت من الوافدين إليها وتشكلت فئة اجتماعية جديدة حاولت العيش كنظيراتها في الحواضر الإسلامية المزدهرة[39].

وتشهد نصوص ابن الصغير على ما كان عليه الأمر أيام الرستميين، إذ يقول :" وعمرت معه الدنيا، وكثرت الأموال والمستغلات، وأتته الرفاق و الوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات.."[40]. فلم تكن الدولة الرستمية بمعزل عن العالم الخارجي، بل احتضنت الوافد التجاري واحتوته، "فانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب"[41].

ولا شك أن هذه الحركية الاقتصادية كان لها واسع الأثر في تحفيز سكان المدينة على التأنق ، والالتفات إلى الجانب الكمالي. " وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى أبان وحموية القصرين المعروفين لهما بأملاق، وابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف اليوم وغيره مما يطول ذكره..."[42].

وحدث أن انتشرت القبائل، وعمرت العمائر، وكثرت الأموال بأيديهم، وكانت العجم قد ابتنت القصور، ونفوسة قد ابتنوت العدوة، ....وأمنت الساحات، وكثرت الأموال حتى أطبقت أهل الحواجر والبوادي.."[43].

بل أن مظاهر الثروة بلغت ببعض الأفراد كمحمد بن عرفة أن يسير في شوراع المدينة وحوله عشرات العبيد[44].

ومع ثراء المدينة وغنى أهلها انتشرت المنتزهات والبساتين الخاصة بضواحيها، فكان للأمير جنان يعرف "بجنان الأمير"[45].

المبحث الثاني: مظاهر ومواد تجارة الترف

إن أهم الخصائص التي تميز بها المناخ الاقتصادي الذي كان ينمو فيه الإنتاج؛ هو الإقبال على الاستهلاك، هذا الاخير مرده إلى منشأ وظهور المدن الكبيرة وازدهار العمران فيها. موريس لومبار ص237، يمكن التمثيل بالمدن ذات الكثافة السكانية المرتفعة' كتاهرت، بجاية، قلعة بني حماد، قسنطينة..، فتزداد طلبات الساكنة على الكم والنوع، وهذا الإقبال يكون رائجا على الكماليات[46].

ومن سمات المجتمع الحضري والحياة في المدن الكبرى، انعكاس الانفتاح السكاني عليه، فيؤدي ذلك إلى تبادل حضاري بين الحواضر والمدن الداخلية في حد ذاتها، ليتعداه في مرحلة ثانية إلى تمازج وتثاقف مع ثقافات و مدن خارجية ذات إنتاج حضاري مختلف من جهة ثانية[47].

شهد المغرب الأوسط نشاطا تجاريا كبيرا بريا وبحريا قائما، على تبادل السلع والبضائع، فالتنوع الإقليمي والطبيعي، الذي تمتعت به البلاد. كان له انعكاسا إيجابيا على الإنتاج الفلاحي، وهذا ما أظهرته الأسواق والتي عرفت رواجا لمختلف السلع .

المطلب الأول: التبادل داخل البيئة المغربية..

وهي تعكس مظاهر النشاط التجاري من تبادل للسلع سواء كانت محلية أصلية في المنطقة أو سلع واردة أجنبية لتمر عبرها.

البلد	المواد المتبادلة	نوعية التبادل	المصدر
جزائر بني مزغنة- القيروان	السمن- العسل- التين	صادرات	ابن حوقل ص78. 85.
المسيلة – القيروان	السفرجل	صادرات	ابن حوقل ص 85.78.
المغرب الأوسط- المغرب الأقصى	السكر	واردات	الاستبصار 211
تاهرت- سجلماسة	الحبوب- المنتوجات الصوفية-والكتانية والحريرية	واردات	
تاهرت(المغرب الأوسط)- السودان الغربي	المنتوجات الصوفية والقطنية-اواني الزجاج- الملح-	صادرات	214 الاستبصار
المغرب الأوسط- ...	المرجان[48]	صادرات	ابن حوقل. ص89/76
المغرب الأدنى- المغرب الأوسط	الموز- الفستق- المنسوجات الحريرية	واردات	جودت عبد الكريم ص221

	والثياب.		
المغرب الأوسط- فاس	قصب السكر -	واردات	الاستبصار 211. صبح الأعشى ج5/164.
المغرب الأوسط- سجلماسة	القطن- الكمون- الكرويا- الحنا	واردات	الإدريسي 96..
المغرب الأوسط - السودان الغربي	الذهب	واردات	البكري ص الإدريسي: ص 91

جدول 1: التبادل التجاري داخل البيئة المغربية.

تعتبر المسالك التجارية البرية والبحرية، من أهم العوامل التي ساعدت على تنشيط حركة التبادل التجاري. والطريق البحري الرابط بين إفريقية والمغرب

لقد ارتبطت حركة النشاط التجاري بالإنتاج الفلاحي، وتدعمت بالموقع الجغرافي بين المغارب الثلاث، الذي ربطته مسالك تجارية متشعبة، أين نجد زخما من المعلومات التي رصدت نصوص الجغرافيا حول الإنتاج الوفير، في كل مدينة وناحية، دون أن ننسى الربط بين الإنتاج الصناعي والتجاري، إذ شكلت بعض السلع المصنعة في بعض المدن عاملا مهما للتبادل التجاري كالخزف والفخار والمنسوجات[49].

المطلب الثاني: التبادل مع الأندلس..

من المعلوم أن المبادلات التجارية الخارجية ، كانت كثيفة بين بلدان المغرب الإسلامي بصفة عامة وبين دول البحر المتوسط ، ولأن حركة التبادل التجاري شهدت نشاطا حفز السياسة الضريبية وغدت "المراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة[50]".

البلد	المواد المتبادلة	نوعية التبادل	المصدر
الأندلس- مدن المغرب الأوسط	قصب السكر- الزعفران - الحرير- الياقوت الأحمر- الورق[51]- الخشب[52].	واردات	جودت عبد الكريم: الأوضاع، ص224..

بجاية- أوروبا	الصوف العسل- الجلـــود- الشـــمع[53] الزيت-	صادرات	جودت عبد الكريم ص221.

جدول2: التبادل التجاري بين المغرب والأندلس وأوروبا.

يمكن القول أن البضائع المستوردة من الأندلس هي المصنوعات الجلدية والفخارية والأواني الخشبية، والمصنوعات المعدنية وآلات النحاس والحديد والأمقاص الذهبية[54].

أي أن تلك السلع كانت تستورد من الأندلس لم تكن متطورة في المغرب الأوسط. أو أن شهدت تطورا في الأندلس، ولم تكن تلبي حاجات السكان مما اضطر لاستيرادها[55].

أما غالبية الصادرات فكانت القمح والشعير خاصة من السهول الغربية[56] ، والتمر والنحاس وأكسية الصوف والخيول والأغنام، على أن الطعام كان أهم ما تستورده الأندلس من المغرب الأوسط[57].

يمكن التوصل أيضا إلى أن نوعية السلع التي كان يختص بها كل ميناء وذلك استنادا إلى طبيعة البيئة المحيطة بها والنشاط الاقتصادي الغالب على ما يحيط به من السكان ، ويمكن التمثيل بعدة مدن؛ فمنطقة هنين كانت تتميز بكثرة البساتين، ووهران هي الأخرى كان لها أسواق كثيرة وصنائع متعددة وتجارات نافعة ومنها أكثر ميرة ساحل الأندلس، لا سيما مع مدينة المرية[58]. التي كانت تصدر بدورها إلى موانئ المغرب الأوسط التحف المعدنية والأسلحة والحديد ...[59].

ويبدو أن محصول القمح كان من أهم الصادرات التي تحمل إلى الأندلس حيث شكلت بعض المدن مركزا للإنتاج الرعوي ولمحاصيل الحيوانية من عسل وسمن وزبد..، وأيضا كانت تنس، وبرشك، وشرشال ذوات الفواكه والمزارع والكروم والتين والمواشي[60].

. تميز أيضا ميناء بونة بكونه مأمونا جدا والمدينة بالذات جمعت محاسن البر والبحر فهي ذات خيرات ومحطة لتلقي السلع المختلفة وتصديرها إلى مناطق مختلفة عبر البحر المتوسط فالبكري اشار إلى أن بونة :" أكثر تجارها أندلسيون"[61].

وعلى الرغم من أن المغرب الأوسط قد شهد عملية تصنيع كبيرة ، فقد كان يستورد كميات كبيرة من المصنوعات الأندلسية لأن عدد السكان كان في ازدياد مستمر[62].

كثرة الموانئ من الطرفين جعلت كل ميناء يختص بتصدير أو استيراد سلعة معينة، وذلك استنادا لطبيعة البيئة المحيطة به والنشاط الاقتصادي الغالب على ما يحيط به من السكان؛ فمنطقة هنين على

سبيل المثال كانت تتميز بوفرة البساتين والمزارع، ومدينة وهران عرفت بصنائعها وأسواقها وتجاراتها النافقة، وكانت السفن تحمل من

تلمسان مركز الإنتاج الرعوي والمحاصيل الحيوانية ، دون أن نتجاهل المدن ذات الثراء الانتاجي من تنس وبرشك وشرشال ذوات الفواكه الحسان والمزارع والمواشي[63]. خلال القرن 3هـ/9م، ظهرت مراكز لصناعة الزجاج في الأندلس[64] . اشتهرت بعض مدن الأندلس بإنتاج موارد اشتد عليها الطلب المغربي من قبيل، أن البيرة كانت تشتهر بالنحاس وشجر الجوز وقصب السكر. وكانت المرية يشحن منها الحرير إلى جميع الآفاق[65]. ومن الموارد أيضا أن إجدى قرى مدينة طليطلة كانت تشتهر بإنتاج الطين المأكول الذي كان يتجهز به منها إلى جميع البلاد،ويستعمل في تنظيف وغسل الشعر[66].

لعبت بعض مدن الأندلس دور الوسيط التجاري، في مرور السلع الأوربية إلى بلاد المغرب خلال فترة الدراسة قبل أن تزدهر العلاقات بيت المغرب الأوسط ودول جنوب أوربا في مراحل لاحقة.

المطلب الثالث: مع المشرق الإسلامي والسودان الغربي

تكشف النصوص المطلع عليها حيوية نشاط حركة القوافل ابتداءا من القرن 2هـ ، كما عبر ابن الصغير المالكي عن ذلك، وبذلك تكون منتجات المشرق الإسلامي والسودان الغربي قد وصلت إلى بلاد المغرب.

البلد	المواد المتبادلة	نوعية التبادل	المصدر
المشرق- المغرب الأوسط	الرخام – الملابس- ماء الورد- الملابس	واردات	جودت عبد لكريم: الأوضاع، ص 233
المغرب الأوسط- السودان	الفواكه	صادرات	لإدريسي ص4، ص35.
المغرب الأوسط- السودان	الملح	صادرات	ابن حوقل. ص98.
المغرب الأوسط- المشرق	الأكسية الصوفية – الحديد- العنبر- الرصاص- الزئبق...	صادرات	ابن حوقل ص86 المقدسي ص229-228

	الزيت- الفستق- الزعفران- اللوز- المزاود- الانطاع والقرب. اللبود المغربية لعنبر- الذهب- العسل- الجرير الخدم السود-		الاصطخري ص46.
المغرب الأوسط- السودان	الذهب- ريش النعام - العبيد - الدروق اللمطية جلود النمور- - الملح		البكري 123 الادريسي ص59/8 ابن حوقل ..91/96

جدول3: حركة التبادل التجاري مع المشرق والسودان.

إن أهم السلع التي حملها التجار إلى بلاد السودان الغربي الملح هذا المعدن النادر والضروري في الحياة اليومية في بلاد السودان، ويذكر ابن حوقل أن الملح لم يكن سلعة رستمية، فحسب بل كان يشترى من أطراف الصحراء في بلاد السودان كما أن التجار المغاربة قد حملوا معهم منتوجات أخرى " منها المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية وأواني الزجاج والفخار والخزف .."[67] . ويعتبر ملح بلاد المغرب من أجود أنواع الملح وتتم مقايضته بمعدن الذهب في جنوب الصحراء[68].

بخصوص الواردات فد سهل على الذهب أن يتوجه نحو الشمال من خلال المسالك الرابطة بين الضفتين، سواء كان ذلك عبر وارجلان أو سجلماسة .

لقد كان اقتناء الذهب في ظل العمليات التجارية مقابل الملح الذي هو البضاعة الرئيسية التي تقع مبادلتها بالملح الذي يعد أهمية في بلاد السودان لأنه غير متوفر لديهم فقد كان عملة صرف وتعامل[69].

إذ عد الرقيق من واردات المغرب الأوسط من السودان الغربي وتتحكم في أسعاره ومحدداته عدة معايير أهمها حالة الرقيق من حيث النوع والجنس والقدرة الجسدية والحرفة الذهنية، القدرة الشرائية التي ترتبط أساسا بعملية المزايدة في السوق من حيث الإقبال على الإماء يضعف الإقبال على شراء الذكور[70].

رغم عدم وجود نصوص صريحة تطلعنا على طريقة وصول الرقيق السوداني خاصة إلى أسواق مدن الساحل كبجاية مثلا، إلا أنه من المحتمل أنه كان يريد عبر مدينة وارجلان والتي ترتبط معها بطريق عبر مدينة المسيلة .

نظرا لحاجة السودان إلى الملح فقد كان مرتفع الثمن لدرجة أن التجار يبادلونه بوزن أو وزنين ذهب، خاضعا في ذلك غلى مبدأ العرض والطلب[71].

انتقل العبيد من بلاد السودان إلى المغرب الأوسط وامتلك العامة العبيد على غرار الخاصة، حيث كان أثرياء تاهرت ووارجلان يملكون عبيدا لحاجتهم إليها[72] .

وظهر عبيد الصقالبة في العهد الفاطمي ذلك أن ابو عبد الله الشيعي اشترى الصقلبي بشري المعروف بالإيكجاني[73]. ويؤكد ابن الصغير ظاهرة شراء العبيد الصقالبة بقوله حين تولة محكم الهواري القضاء عهد الإمام أفلح :" واشتروا له خادما صفرا"[74]. ويتوقع أن دورهم اقتصر على الجانب الاجتماعي وخدمة أصحاب القصور وكبار الشخصيات، فكان منهم الفنانون في الرقص والغناء والتمثيل، تلبية لحاجة الترف[75].

ومن المنتجات المشرقية التي وصلت المغرب الأوسط السيوف اليمانية كالتي ظهرت عند المنصور الفاطمي وعلى غرار السيوف قد تكون هناك منتجات أخرى كالحلل اليمانية والثياب السعدية والعدنية[76].

ويبدو أن شغف المغربي بالتحف النادرة والطرائف الواردة من منتجات وافدة من أجل تزيين القصور، كالأواني المصنوعة من الزجاج الشفاف العراقي، والمطرز بالذهب.والأثاث المغطى بالجلد الناعم، والمنقوش والمطرز بالذهب[77]. كما وصل أثرياء المغرب الأوسط إلى نفيس الوطاء وغرائب الأشياء .."[78].

منمن الطرائف المستوردة أيضا الحيوانات والتي كانت تمنح كهدايا، مثلى ما تضمنته هدية زيري بن عطية والتي وجهها إلى قرطبة[79]. وكان منها :" دابة من دواب المسك، ومهاة وحشية تشبه الفرس وحيوانات غريبة"[80].

ومن روافد التجارة المشرقية دخول صناعة الفخار الصيني والتي بلغت درجة عظيمة من التقدم ووصلت إلى شمال إفريقيا في القرن 4هـ[81].

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي حاولت وضع تصور لتجارة مواد الترف وأهم العوامل التي أدت إلى انتشارها. وكانت الحياة الحضارية في المغرب الأوسط بعد تأسيس الدولة الرستمية في توسع دائم، تفي حاجى مستمرة إلى التطور، انتقلت فيها من مرحلة تحقيق الضروري وصولا إلى البحث عن الكمالي بما يتجاوب مع معطيات الزمان المكان.

شملت الموارد التجارية التي تم تصنيفها على أنها كمالية مختلف مظاهر الحياة من أدوات كمالية وأواني وعطور وتوابل وآلات لهو ومنتجات غذائية وملابس ذات أبهة وتحف . وعلى الصعيد الكمي كانت عمليات التبادل التجارية كثيرة ومتنوعة الموارد والاتجاهات.

وتجارة الترف حتى وان صنفت ضمن مباحث التاريخ الاقتصادي إلا أنها تعكس واقعا اجتماعيا وتعبر عن ذهنية ومرحلة جديدة في حياة المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب:.

1. الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
2. المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل، 1863. ص 94.
3. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
4. البكري، **المسالك والممالك**، ج2، تحقيق، أدريان فان ليوفن. أندري فيري. الدار العربية للكتاب. المؤسسة الوطنية للترجمة. (1992).
5. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1992.
6. الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، عالم المعرفة، الكويت، 2005
7. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2 ، ترجمة، محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
8. حسين مؤنس، الحضارة ، ، عالم المعرفة، الكويت،1978، ص47.
9. ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت.

10. ابن خلدون، المقدمة، ج1، تحقيق، عبد الله درويش، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004، ص301.

11. : لقب واسم المؤلف، عنوان الكتاب، الجزء(إن وجد)، الترجمة (إن وجدت)، الطبعة، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر، رقم الصفحة

12. . ابن الصغير المالكيأخبار الأئمة الرستميين، تحقيق. محمد ناصر. إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

13. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2،، تحقيق. محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،(1985)

14. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، 1984.

15. مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، القاهرة.

16. موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5هـ، (8-11م)، ترجمة: إسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1990.

17. نصر الدين بسدات، العلاقات السياسية والصلات الاقتصادية، النشر الجامعي الجديد، تلمسان.

18. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت.

19. اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت

ثانيا: الرسائل والمذكرات

1. بصديق عبد الكريم، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين (6-9هـ/12-15م). (دكتوراه غير منشوره)، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران. (2018/2017)، ص61.
2. رشيد باقة، نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر 'من السادس إلى التاسع الهجري)،(دكتوراه دولة) ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، 2007. ص331.

ثالثا: أشغال الملتقيات:

عبد الواحد ذنون طه، التبادل التجاري بين الموانئ التجارية والأندلس ، أعمال الملتقى الدولي الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، ، جامعة الجزائر، 2009، ص403-430.

الهوامش:

[1] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق، عبد الله درويش، دمشق، دار يعرب، ط1، 2004، ص330.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص331.

[3]حسين مؤنس، الحضارة ، 1978، عالم المعرفة، الكويت، ص47..

[4] اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص191.

[5] ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص83.

[6] اليعقوبي، مصدر سابق، ص149.

[7] مدينة كبيرة أزلية تقع قرب المسيلة من بلاد الزاب بينها وبين قلعة بني حماد ثمانية أميال وبينها وبين المسيلة ثمانية عشر ميلا ، تقع ين جبال قد أحدقت بها ولها نهر يجتمع من العيون في موضع دهس يخرج منه هذا النهر ويسمى نهر سهر ، مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ص167.: البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي ص59. حيث بموقعها تتوسط سوق حمزة والمسيلة وطبنة، كان أهلها بدو ولهم مزارع مباركة ومعاملاتهم كثيرة.

[8] ويقول أيضا: ولقد دخلت الفحص في زمن الصيف فرأيت الجليد ينزل فيه بالغدو، ومن أمثال تلك البلاد برد بلد عجيسة في الصيف وأما في الشتاء فسكرات الموت". مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص167.

[9] لقد أكدت المصادر الجغرافية على أن مدينة ميلة حسنة كثيرة الأشجار ممكنة الثمار وفواكهها كثيرة ومحاسنها ظاهرة ومياهها غدقة .. الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل، 1863. ص 94.

[10] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دا ر صادر، بيروت، ج5، ص244.

[11] مجهول، مصدر سابر، ص132.

[12] البكري، مصدر سابق، ص 76.

[13]ابن حوقل، ص83.

[14] اليعقوبي، مصدر سابق، ص191.

[15] ابن حوقل، مصدر سابق، ص86.

[16] الإدريسي: المغرب، ص86.

[17] ابن حوقل: صورة الأرض، ص76-77.

[18]البكري، (1992). المسالك والممالك. تحقيق. أدريان فان ليوفن. أندري فيري. الدار العربية للكتاب. المؤسسة الوطنية للترجمة. ج2، ص241-247-269.

[19]الإدريسي ، (2002). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.، ج1،254، 256، 257، 258.)

[20]البكري، مصدر سابق، ج2، ص 264.

[21] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 128.

[22]جودت عبد الكريم، الأوضاع، ص 174.

[23]المقدسي، أحسن التقاسيم، ص296.

[24] ابن حوقل، صورة الأرض، ص85.

[25] ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص390. إلى جانب شهرة لقلعة بالعمائم التي كان الحماديون كغيرهم يرتدونها والتي تسوي الواحدة منها خمس مائة دينار وست مائة دينار فكانت إذا تعممها مالكها تبدو فوق رأسه كأنها التاج. مؤلف مجهول، الاستبصار، ص65.

[26] مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص 129.

[27] ا لادريسي 91/90/89/84

[28] ابن الصغير المالكي، مصدر سابق، ص51.

[29] موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5هـ، (8-11م)، ترجمة: إسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب 1990، ص 268.

[30] موريس لومبار، المرجع نفسه، ص268.

[31] مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 170.

[32] جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية، ص91..

[33] جودت عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 94.

[34] الوشي: قماش من الحرير الملون والمثقل بالذهب- والخز- نسيج ناعم من الحرير ومن وبر ذكر الأرنب- والديباج (قماش من لامع أو ملون يعتبر تقليدا للحرير الصيني-والسقلاطون(حرير موشى بالذهب والشربقماش شفاف تتخلله خيوط ذهبية أو حريرية). والسمور- قماش رقيق الوبر. 201. جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 95.

[35] موريس لومبار، مرجع سابق، ص273.

[36] جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 102.

[37] الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، عالم المعرفة، الكويت، 2005، ص125.

[38] ابن الصغير المالكي، تاريخ الأئمة الرستميين ، تحقيق، محمد ناصر – إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، ص31.

[39] الجنحاني، مرجع سابق، .ص129

[40] ابن الصغير، مصدر سابق، ص 51.

[41] المقدسي، مصدر سابق، ص228.

[42] ابن الصغير ،مصدر سابق، ص51

[43] المصدر نفسه، ص54.

[44] الحبيب الجنحاني، مرجع سابق، ص129.

[45] نفسه، ص 129.

[46] موريس لومبار، مرجع سابق، ص237.

[47] جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص255.

[48] يشكل المرجان أحد الأصناف الرئيسية في تجارة البحر المتوسط، حيث اقبل عليه الأوربيون واستورده تجار جنوة من ميناء الخرز. رشيد باقة، نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر 'من السادس إلى التاسع الهجري)، دكتوراه دولة، جامعة الأمير عبد القادر، 2007، ص331. استخدم المرجان في صنع الحلي والتمائم. موريس لومبار، ص281.

[49] نصر الدين بسدات: العلاقات السياسية والصلات الاقتصادية، تلمسان، النشر الجامعي الجديد، ص186.

[50]ابن حوقل، مصدر سابق، ص94.

[51] اشتهرت شاطبة بتصدير الورق وانفردت بذلك. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص109.

[52] كانت حاجة المغرب الأوسط عامة إلى مختلف أنواع الخشب لاستعماله في الطبخ والنسيج وتأثيث المنازل وصناع السفن. رغم توفر المغرب الأوسط على ثروة غابية لكن يبدو أنا الانتاج المحلي له لم يعد يلبي الحاجة السكانية لذلك. إسماعيل العربي: العمران والنشاط الاقتصادي في قلعة بني حماد. الأصالة، ص344.

[53] استوردت أوربا مادة الشمع بكميات كبيرة فكانت بجاية الممول الرئيسي لها ومن المحتمل أن كلمة bougie التي تطلق على الشمعة في أوربا قد أخذت من مدينة بجاية التي أنارت شموعها ليالي أوربا. باقة رشيد: مرجع سابق، ص334.

[54] عبد الواحد ذنون طه، التبادل التجاري بين الموانئ التجارية والأندلس ، الموانئ الجزائرية عبر العصور سما وحربا، أعمال الملتقى الدولي، جامعة الجزائر، 2009، ص403-430، ، ص413.

[55] استوردت مراسي المغرب الأوسط الأقمشة والقطن والكتان والحرير والتوابل المشرقية أي التي كانت تجلب من الشرق من طرف تجار جنوة. عمارة علاوة: النشاط التجاري للساحل الشرقي الجزائري، ص145.

[56] مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص179.

[57] دنون طه: مرجع سابق، ص421.

[58] البكري، مصدر سابق، ص70. ذنون طه، مرجع سابق، ص421.

[59] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، 1984، ص171.

[60] مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص133.

[61] البكري، مصدر سابق، ص82. وهو ما يشير إلى أن أغلب المبادلات التجارية كانت تتم مع الأندلس.

[62] عبد الواحذ ذنون طه، مرجع سابق، ص421.

[63] مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص133. الإدريسي، مصدر سابق، ص 89.

[64]موريس لومبار، مرجع سابق، مرجع سابق، ص.279

[65]جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص222.

[66]مرجع نفسه، ص222.

[67] نفسه، ص272.

[68] باقة رشيد، مرجع سابق، ص333.

[69] ذكر ياقوت الحموي أن أثمن شيئ في خزانة ملك كوكو هو الملح. ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج6-7، ص495.

[70] بصديق عبد الكريم، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع مبين القرنين(6-9هـ/ 12-5م)، شهادة دكتوراه: جامعة وهران،2017-2018. ص61. إن من أهم عوامل ازدهار تجارة الرقيق ق6/5هـ زيادة الطلب على مادة الرقيق مع تنامي حب التسري بالنسبة للأمة ومساعدة السيد في الحرفة أو التجارة، أو لدوافع سياسية أو عسكرية فالعسكر الفاطمي تضمن زهاء ثلاثين ألف من عبيد مشترون.

[71] ويذكر ابن حوقل أن ثمن حمل الملح في دواخل بلاد السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار. ابن حوقل، مصدر سابق، ص98.

[72]جودت، مرجع سابق، ص266.

[73] نفسه، ص268

[74] ابن الصغير، مصدر سابق، ص57.

[75] جودت عبد الكريم، مرجع نفسه، ص268-270.

[76]نفسه، ص232.

[77]نفسه، ص233.

[78]ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، ج2، ص91

[79] جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص266.

[80]ابن عذارى، مصدر سابق، ج 1، ص262 .

[81]موريس لومبار، مرجع سابق، ص272. فقد كانت الصين تصدر إلى العالم الإسلامي الفخار الصيني والورق المذهب والتحف الثمينة.